ISSN : 2543-3938 - EISSN : 2602-7771

العوامل المساعدة في بروز ظاهرة العنصرية

FACTORS CONTRIBUING TO THE EMERGENCE OF THE PHENOMENON OF RACISME

زيكيو مصطفى

جامعة عبد الحميد ابن باديس مستغانم (الجزائر)، zik.socio@gmail.com

تاريخ الإستلام: 20/ 08 / 2021 **تاريخ القبول**: 07/ 01 / 2022 **تاريخ النشر**: 05/ 02 / 2022

ملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى تسليط الضوء على ظاهرة بالغة الأهمية بالنسبة للمجتمعات البشرية ألا وهي ظاهرة العنصرية التي تسببت في العديد من المشكلات الإجتماعية والأمنية والتي تستمر تداعياتها لسنوات طويلة باعتبارها تسبب ضررا للنسيج الاجتماعي وتهدد كيانه، وقد عانت منها واكتوت بنارها العديد من المجتمعات قديما وحديثا .

إن ظاهرة العنصرية تأخذ أشكالا مختلفة قد يكون سلوكا عنصريا يصدر من دولة تجاه دولة أخرى ،وقد تكون بين مجموعة تعتنق ديانة ومجموعة تعتنق ديانة أخرى أو بين طائفة وطائفة أخرى من نفس المجتمع، ولمجابهة هذه الظاهرة يجب أن تتضافر جهود كل القوى الفاعلة في المجتمع من مؤسسات التنشئة الاجتماعية بدءا بالأسرة والمدرسة،والمسجد،ووسائل الإعلام لتقف سدا منيعا لنبذ كل أشكال العنصرية وكل خطاب يحث على الكراهية فالبشر كلهم سواسية ويشتركون في عرق واحد وهو الإنسانية

الكلمات المفتاحية: العنصرية؛ الكراهية؛ العرق؛اللون؛ التنشئة الاجتماعية؛ الإيديولوجيا،

***

Abstract:

This research aims to talk about a very important phenomenon for human societies, namely the phenomenon of racism, wich has caused many social and security problems, and whose repercussions will continue for many years because they harm the social fabric and threaten its existence. Many societies have suffered in past and present and it should be noted that the phenomenon of racism takes different forms, it can be racist behavior emitted by one states towards another states, between two groups embraced different religion, or between another sect and another sect of the same society.

So to face this phenomenon, the efforts of all the actors must be combined in society, from the institutions of socialization, starting with the family, the school, and the mosque and the media, they stand as a bulwark to reject all form of racism and all speech wich promotes hatred, because all human being are equal and share a single race, wich is humanity.

Keywords: color; the hatred; Ideology; Intolerance; racism; Socialization**.**

I. مقدمة

يعتبر التعصب والعلاقات العنصرية السلبية من أشد ما يقاسي منه الإنسان وأخطر ما يؤذيه في عصر كعصرنا حيث تنتشر المفاهيم الديمقراطية ويزداد الحديث عن حقوق الإنسان وحقه في أن يعيش الحياة التي يختارها وعن حقه في حياة كريمة دون تمييز بين فرد وأخر . والحقيقة أن التعصب ينموا في ظروف اجتماعية ونفسية معينة يعيشها أفراده تعمل على انتشاره في بعض المجتمعات دون الأخرى ،فمثلا هناك دراسات تشير إلى أن التعصب ضد الجماعات العنصرية يزداد حدة إن واجه المجتمع ظروفا معينة كأن ينشأ التعصب كلما كان هناك اختلاف بين الجماعات التي تكون المجتمع، فوجود جماعات تنتمي إلى أعراق مختلفة وأديان مختلفة يعتبر أرض خصبة للتعصب(زايد ،2006 ،ص 75)

إن التاريخ يزخر بالحوادث العنصرية التي دونت في صفحاته والتي تسببت في ألام ومآسي مازالت إرهاصاتها إلى يومنا هذا، وفي هذا السياق سوف نتطرق إلى بعض الأمثلة على سبيل المثال لا الحصر موثقة في تاريخ الإنسانية، وبالأخص ما تعرض له المواطن الإفريقي من ظلم واضطهاد وتمييز عنصري خلال القرون الماضية كل هذا بدأ باكتشاف أمريكا التي كانت تسمى في تلك الفترة ب(نيوانجلند) (New England) ويقصد بها الولايات الشمالية الشرقية الست في الاتحاد ،ونظرا لشاسعة الأرض المكتشفة من جهة ،وتطور زراعة القطن وقصب السكر والتبغ ،كان لزاما على ملاك الأراضي أن يبحثوا على يد عاملة لاستغلال تلك الثروات ،ومن هنا ظهرت تجارة العبيد أين تم ترحيل الآلاف من الأفارقة قسرا من موطنهم الأصلي إلى الأرض الجديدة ،حيث استمرت معاناته إلى يومنا هذا بالرغم من التقدم التكنولوجي والثقافي والاقتصادي الهائل الذي عرفته الولايات المتحدة على جميع المستويات إلا أن الدافع العنصري ما يزال موجودا من خلال النظر إلى الأخر بنظرة دونية واحتقاره بسبب لون بشرته ،ضف إلى ذلك الخطابات الموسومة بالكراهية والتي تصدر من أعلى المستويات التي تحاول إلصاق كل ما هو سيء بالمواطن الأفرو أمريكي.

إن العنصرية لا تقتصر فقط على اللون بل أن هناك عوامل أخرى لا تقل خطورة عن سابقتها تتمثل في ازدراء مجموعة دينية لمجموعة أخرى لا تنتمي لنفس الديانة وهو ما حصل في البوسنة والهرسك ،وما يحصل الآن مع مسلمي الروهينجيا في ميانمار، وعليه فإننا سنحاول من خلال هذا المقال الإجابة على التساؤل الآتي:

ما هي الدوافع التي تساهم في انتشار العنصرية في المجتمعات الإنسانية؟

أولا: مصطلحات الدراسة:

سنحاول في هذا المحور عرض اهم المصطلحات التي لها علاقة مع الظاهرة محل الدراسة ألا وهي ظاهرة العنصرية في المجتمعات البشرية.

1. العنصرية:

نوع من الاستعلاء النابع من شعور فئة بأنها عنصر سيد، ثم ترجمة هذا الشعور إلى واقع سياسي واجتماعي واقتصادي(عاشور ، 1986، ص3)

2. التعصب العرقي:

التعصب في اللغة العربية يعني التصاقا جامدا بالأصل سواء كان هذا الأصل إيديولوجيا أو اثنيا أو دينيا أو غير ذلك ينطوي بالأساس على الاعتقاد بالقيمة المطلقة لهذا الأصل ومن ثم نفي القيمة على كل ما هو مغاير الذي يستوجب العداء والعقاب بما هو لا يشبه أو يختلف عن ذلك الأصل(الجزار ،2011 ،92)

3. الكراهية:

يرى بعض المفكرين أن الكراهية شعور بالاستياء و الغيض يستحضر دوما رد فعل ،وهو يخلق جملة من المدركات المتبادلة بين الأشخاص الذين يبغضون موضوع كراهيتهم ومن الخطورة بما كان –كما يشير التاريخ- أن يعتبر المرء نفسه موضوعا وهدفا للبغضاء ويخاف انقضاض كره الآخرين عليه ،وهذا يعادل تماما خطر جعل الأخر هدفا للكراهية وقيل "إن الكراهية لا تأتي بالوراثة ،بل تأتي بالتربية والتعلم "(النملة بن إبراهيم ،2015 ،ص 10)

4. التنشئة الاجتماعية:

تعني واقعة تنمية علاقات اجتماعية، وتشكيل الأفراد في جماعات اجتماعية أو مجتمع، ويتم التأكيد هنا على عنصر الاشتراك والمشاركة من خلال إثارة روابط اجتماعية بين الناس وتنميتها، وبهذا يصبح معنى التنشئة الاجتماعية تلك العملية التي يشب فيها الطفل ويتربى من خلال اندماجه مع الجماعة أو المجتمع الذي ينتمي إليه حيث تكون هناك عملية نمو وانتماء وتدامج (همشري، عمر أحمد،2013 :20)

ثانيا: الاتفاقيات الدولية المناهضة للعنصرية:

1. الاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري:

وقد جاء في هذه الاتفاقية ما يلي:

إذ ترى أن ميثاق الأم المتحدة يقوم على مبدأ الكرامة والتساوي الأصيلين في جميع البشر ،وأن جميع الدول الأعضاء قد تعهدت باتخاذ اجراءات جماعية وفردية بالتعاون مع المنظمة بغية إدراك أحد مقاصد الأمم المتحدة المتمثل في تعزيز وتشجيع الاحترام والمراعاة العالميين لحقوق الإنسان والحريات الأساسية للناس جميعا ،دون تمييز بسبب العرق أو الجنس أو اللغة أو الدين، وإذ ترى أن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان يعلن أن البشر يولدون جميعا أحرارا ومتساوين في الكرامة والحقوق ،وان لكل إنسان حق التمتع بجميع الحقوق والحريات المقررة فيه، دون أي تمييز لاسيما بسبب العرق أو اللون أو الأصل القومي ، وإذ ترى أن جميع البشر متساوون أمام القانون ولهم حق متساو في حمايته لهم من أي تمييز ومن أي تحريض على التمييز(مكتب العمل الدولي،1988)

2.الاتفاقية الدولية ضد التمييز في الاستخدام والمهنة:

دعى مجلس ادارة مكتب العمل الدولي إلى الاجتماع في مدينة جنيف السويسرية في الرابع من شهر جوان سنة 1958 من أجل اعتماد بعض المقترحات المتعلقة بالتمييز في مجال الاستخدام والمهنة، وقد تقرر أن تأخذ هذه المقترحات شكل اتفاقية دولية، وقد جاء في نص الاتفاقية ما يلي:

وإذ يرى أن اعلان فيلاديلفيا يؤكد أن لجميع البشر أيا كان عرقهم ومعتقدهم أو جنسهم، الحق في العمل من أجل رفاهيتهم المادية وتقدمهم الروحي كليهما في ظروف توفر لهم الراحة والكرامة ، والأمن الاقتصادي وتكافؤ الفرص. وإذ يرى كذلك أن التمييز يمثل انتهاكا للحقوق الواردة في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

3.اتفاقية اليونيسكو لمكافحة التمييز في مجال التعليم:

تم اعتمادها في المؤتمر العام لليونيسكو سنة 1960 ،وقد تمت المصادقة عليها من طرف 104 دولة، وتؤكد الاتفاقية الخاصة بمكافحة التمييز في مجال التعليم من جديد أن التعليم ليس رفاها، بل هو حق من

الحقوق حق الأساسية للإنسان. وتبرز التزامات الدول بضمان التعليم المجاني والإلزامي، وحظر أي شكل من أشكال التمييز وتعزيز تكافؤ الفرص التعليمية. وتشمل الاتفاقية الحق في التعليم بالكامل، وتعد الاتفاقية الوحيدة المخصصة حصراً للحق في التعليم. وتُعدّ الاتفاقية بمثابة حجر أساس لتنفيذ جدول أعمال التعليم حتى عام 2030 وأداة قوية للنهوض بالتعليم الجيّد المنصف والشامل للجميع.

ثالثا: الجذور التاريخية للعنصرية:

يعتقد اليونان أن عنصرهم يسموا على سائر العناصر البشرية الأخرى، وفي حدود ذلك فقد قسموا العالم إلى قسمين:

القسم الأول السادة وهم اليونان ولهم كافة الحقوق والامتيازات أما القسم الثاني وهم البرابرة أي غير اليونانيين وعليهم كافة الواجبات والالتزامات ،ويقول الفيلسوف اليوناني أرسطو((إن الله خلق فصيلتين من الناس ،فصيلة زودها بالعقل والإرادة وهي فصيلة اليونان يوقد فطرها على التقويم الكامل لتكون خليفته في أرضه وسيدة على سائر خلقه ،وفصيلة لم يزودها إلا بقوى الجسم وهؤلاء هم البرابرة وقد فطرهم على هذا التقويم الناقص ليكونوا عبيدا مسخرين للفصيلة المسخرة المصطفاة) ،أما في المجتمع الهندي فقد وضع قانون في حوالي القرن الثالث قبل الميلاد عرف بقانون منوشاستر أي (قانون منو) يقسم سكان الهند إلى أربع طبقات هي: البراهمة وتضم طبقة الكهنة ورجال الدين ،شتري وهم رجال الحرب ،ويش وهم رجال الحرف المهنية كالتجارة والزراعة ،شودر وهم رجال الخدمة. (الزغبي أحمد ،1998 ، ص25) .

أما مظاهر العنصرية في المجتمع الروماني فلا يوجد أفضل مصدر يدلنا على ذلك إلا ما ورد في مدونة جوستينيان – التي تحتوي على أحكام الفقه الروماني ،وأبرز ما جاء فيها من أحكام وخاصة الباب التاسع فيما يتعلق بولاية الأب المادة رقم 02 (حق الولاية على الأولاد خاص بالوطنيين الرومانيين وحدهم فليس للأشخاص الآخرين ولاية مثل ولايتنا نحن الرومانيين على أولادنا)(مدونة جوستينيان ،2005 ، ص20)

وقد جاء أيضا في المدونة ((من وقع في الرق بسبب عقوبة قضى بها عليه تنقطع ولايته على أولاده والمسترقون بهذا السبب يطلق عليهم اسم عبيد العقوبة وهؤلاء هم من يحكم عليهم بالشغل في المعادن أو يعرضون لمصاولة الوحوش))

أما القارة الإفريقية فكانت مصدر للعبيد ،فأصبحت سواحلها من مصب نهر السنغال إلى رأس الرجاء الصالح سوق نخاسة يشحن منها ألاف الأرقاء وهذه الحقبة من التاريخ الحديث تعرف باسم (حقبة الاتجار بالرقيق الأسود) وفيها سجل التاريخ أفضع مآسيه الإنسانية وسبب هذه الموجة الجديدة هو اكتشاف أمريكا فكبار المزارعين احتاجوا إلى يد عاملة ولم يجدوها إلا في القارة الإفريقية ،وكان القبض على الأرقاء الموجهين للشحن يتم على طريقتين ،إما أن يتم أسرهم بقوة السلاح أو شراؤهم من ملوكهم حيث باع عدد كبير منهم اتباعهم وأفراد عشيرتهم ،وفي عام 1517 جعل الملك الإسباني عملا مشروعا إذ أجاز بإرادة ملكية نقل أربعة ألاف مواطن افريقي إلى جزر الإنتيل ،وفي معاهدة أوتر يخت (**Traités d'Utrecht**)عام 1713 نالت انجلترا حق الاتجار بالرقيق وما لبثت الدول الأوروبية التي تملك مستعمرات في أمريكا أن بادرت بدورها في الاشتراك في عمليات الاتجار سواء بالحرب أو بالشراء من "الزعماء" السود (روكز يوسف،1986،ص 51)

رابعا: دوافع العنصرية في المجتمع :

سنحاول في هذا المحور تسليط الضوء على بعض العوامل التي من شأنها أن تكون أرض خصبة لانتشار العنصرية في المجتمعات الإنسانية وقد جاءت كما يلي:

1.التنشئة الإجتماعية:

كشفت دراسة جين وستفاني التي أجريت على 60 مراهقا أمريكيا وآبائهم من أصول مختلفة (أسيويون،سود،إسبان) تراوحت أعمارهم ما بين 16-18 سنة كشفت عن التأثير القوي للاتجاهات الوالدية العرقية وممارسات التنشئة على اتجاهات الأبناء العرقية، كما أن المدرسة والنظام التعليمي يسهمان بشكل فاعل في صياغة اتجاهات الفرد ويكون ذلك بأشكال مختلفة فعلى سبيل المثال المناهج الدراسية التي تشوه الحقائق التي تنطوي على اتجاهات صريحة أو ضمنية تجاه الجماعات المختلفة يمكن أن تساعد على التعصب، وقد أثبتت عمليات مسح الكتب المدرسية وخاصة كتب التاريخ في دول عديدة أنها تصنف شعوب الدول الأخرى بطريقة تقلل من شأنها ،كما أنها تسيء للأقليات داخل البلد نفسه ومن الأرجح أن يكون ذلك مصدرا للتعصب وبالفعل وجد ماكورني أن دروس التاريخ كانت سببا وراء كراهية البيض للسود في جنوب إفريقيا ،حيث ركزت هذه المادة على الصراع بين البيض والسود وعلى الفظائع التي ارتكبها السود في حق البيض وقد أثبتت أيضا العديد من الدراسات أثر المعلمين على تعصب التلاميذ وعلى سبيل المثال أوضحت دراسة قام بها راسيل فيجل(**Russel Weigel**) أن تلاميذ إحدى المدارس قد تغير اتجاههم المتعصب نحو السود عندما تبنى المدرسون اتجاهات متسامحة مع التلاميذ السود مقارنة بالتلاميذ في مدرسة أخرى لم يتبنى مدرسوها مثل هذه الاتجاهات (الجزار هاني،2010 ،ص 148)

2.الإيديولوجيا:

وهي مجموعة من الأفكار التي تؤمن بها مجموعة من الأشخاص سواء كانت هذه المجموعة تنتمي إلى عرق أو سلالة أو لون ،ومن أهم الاستراتيجيات التي تعتمد عليها تلك المجموعات التي أشرنا إليها سابقا هو إضفاء السمة الشوفينية في الترويج لأفكارها من خلال إعطاء وعد بالخلاص من الوضع القائم ،وقد أشار الأستاذ أحمد البرقاوي قائلا: «إن الذي يروج لإيديولوجية معينة يخاطب دائما الوعي البسيط والساذج للجمهور فينساق وراء تلك الأفكار ويموت من أجلها»

وإذا تطرقنا إلى بعض النماذج المتعلقة بالإيديولوجيات في التاريخ نجد بأن النازية كإيديولوجية عنصرية اعتمدت في طرحها للترويج إلى فكرة مفادها نقاء العنصر الآري الجرماني وتفوقه على الأجناس الأخرى، بينما اعتمدت الفاشية بقيادة بينيتو موسوليني لترويج فكرة استعادة أمجاد روما القديمة واعتماد الإسرائيليون على إيديولوجية (شعب الله المختار) ،ولكن إذا رجعنا للتاريخ فإننا نجد بأنه لم يدون فيه أي تجربة ناجحة قائمة على إيديولوجية عنصرية ،بل على النقيض من ذلك فإن التاريخ حافل بالمآسي والدمار كنتيجة حتمية لذلك فالنازية كانت سببا في اندلاع حرب كونية ثانية تحت غطاء ايديولوجي عنصري مفاده أن العرق الآري الجرماني هو العرق الوحيد والأجدر الذي يجب أن يحكم العالم والنتيجة هو ذلك الدمار الذي لحق بألمانيا بصفة خاصة والعالم بصفة عامة ،حيث بلغت حصيلة القتلى على المستوى العالمي ما يقارب الخمسين مليون نسمة، بالإضافة إلى الدمار شبه كلي للبنية التحتية للقارة الأوروبية، كما أفضت تلك الحرب إلى تقسيم ألمانيا إلى شطرين شرقية تابعة للاتحاد السوفياتي سابقا وغربية تابعة للولايات المتحدة الأمريكية، أما بالنسبة للفاشية فقد أفل نجمها بمجرد أن تم القضاء على موسوليني بمدينة ميلانو شمال إيطاليا ضف إلى ذلك الجماعات المتطرفة التي تستعمل الإسلام كإيديولوجيا من خلال الترويج لفكرة الدولة الإسلامية ودولة الخلافة وما نجم عنها من دمار في العديد من الأقطار الإسلامية التي تحولت إلى محرقة للشباب الذين أمنوا بتلك الأفكار.

3.اللون:

تعرض المواطن الإفريقي إلى أقسى أنواع التمييز العنصري بسبب لون بشرته ،حيث تم وصفه بأبشع الصفات حتى تنزع منه صفة الإنسانية ومن ثم يسهل استعباده ،حيث أصبح يباع في أسواق النخاسة شأنه شأن أي سلعة أخرى ،وقد ارتأينا أن نسوق نموذجين تاريخيين عرفتهما البشرية فيما يتعلق بالتمييز العنصري القائم على أساس اللون الأول يتعلق بمعاناة السود في الولايات المتحدة ،والثاني يتعلق بسياسة الأبارتايد في جنوب افريقيا.

ورد في إعلان الاستقلال للولايات المتحدة الأمريكية يوم 04 جويلية 1776م ما يلي:« إننا لنؤمن بالحقائق البديهية التي تقرر أن الناس جميعا خلقوا سواسية وأن الله وهبهم حقوقا معينة ثابتة منها حق الحياة والحرية والسعي لتحقيق السعادة» فإذا أمعنا النظر في العبارات الواردة في هذه الوثيقة فإننا نجدها تزخر بالقيم السامية من حيث الأقوال إلا أن واقع الحال في المجتمع الأمريكي الحديث يثبت عكس ذلك ،فقد تغلغلت العنصرية في كافة الأنساق المكونة لبنائه الاجتماعي ،فالمواطن ذو البشرة السوداء يعتبر مواطن من الدرجة الثانية فهو لا يتمتع بنفس الامتيازات التي يستفيد منها المواطن الأمريكي ذو البشرة البيضاء وخاصة ما يتعلق بالرعاية الصحية أو التعليم أو السكن ،ومن الأمثلة التي تبقى مدونة في التاريخ الأمريكي والتي تضل شاهدة على التمييز العنصري هو القانون الذي سنته ولاية ألاباما سنة 1955 ينص على عدم السماح للمواطنين من ذوي البشرة السوداء الجلوس في الأماكن المخصصة للبيض في وسائل المواصلات، وفي هذا السياق وقعت حادثة في مدينة مونتغومري حين رفضت امرأة تدعى روزا باركس**(Rosa parks)** عندما طلب منها سائق الحافلة ترك المقعد الذي كانت تجلس فيه لمواطن أمريكي أبيض ،وقد أثارت هذه الحادثة ضجة كبيرة في المجتمع الأمريكي حيث قام المواطنون الأفرو-أمريكيين بمقاطعة وسائل النقل القائمة على الفصل والتمييز العنصريين.

كما عرف المجتمع الأمريكي أشكالا أخرى من التمييز منها قيام بعض المجموعات من الامريكيين من البيض بمنع التلاميذ السود من الالتحاق بالمدارس وفي هذه القضية علق مالكوم إكس(Malcolm X) قائلا : « إنكم تتكلمون عن تسعة قضاة محنكين لم يعرفوا كيف يصوغوا قرارا باتا بشأن إنهاء الفصل في المدارس أو بعبارة أخرى عن الدهاء الذي يجعل النص يعني الشيء وضده ،فيقول للسود إن الفصل العنصري رفع ويقول للبيض إنه يبقى لديهم منافذ للتملص من تطبيقه»(هايلي ،1996 ، ص 185)

ضف إلى ذلك حرمان المواطنين الأفرو-أمريكيين في الولايات المتحدة الأمريكية من التصويت إلى غاية سنة 1965 م ،حوادث كثيرة من أشكال التمييز العنصري لا تعد ولا تحصى عاشها ومازال يعيشها المواطن الأفرو-أمريكي بسبب لون بشرته ،وهذا ما أدى إلى بروز أصوات عديدة تشجب وتقاوم تلك القوانين والسلوكات والممارسات العنصرية من أمثال مالكوم إكس ،ومارتن لوثر كينغ ومن أشهر أقواله «إني أحلم بيوم يجلس فيه أبناء العبيد في جورجيا وأبناء الذين كانوا سادة العبيد هناك جنبا إلى جنب على مائدة الإنسانية ،إني أحلم بيوم تتطور فيه الميسيسبي من ولاية تحت نير الاضطهاد إلى واحة للحرية والعدالة والمساواة إني أحلم بيوم يعيش فيه أبنائي الأربعة الصغار في دولة لا تزنهم بلون أجسامهم ،وإنما تقومهم بطابع شخصياتهم»

وفي الظرف الراهن فإن المجتمع الأمريكي يعاني شرخا لم يشهده في تاريخه بسبب عمليات القتل التي يرتكبها رجال الشرطة في حق المواطنين الأفرو-أمريكيين ،والشيء الذي يساعد في كشف مثل تلك الممارسات هو انتشار وسائل الاتصال التي تمكن من توثيق ورصد وكشف كل الأفعال العنصرية بالصوت والصورة، وأفضل مثال على ذلك مع حدث مع المواطن الأمريكي جورج فلويد الذي قتل اختناقا على تحت ركبة شرطي

في مدينة مينيابوليس وما زاد من غضب العالم كله هو تصويره لمدة تسعة دقائق كاملة وهو يقول "لا أستطيع أن أتنفس" أو بالإنجليزية "**I can't breathe**" وقد أثارت هذه الحادثة استياءا عميقا في الداخل الأمريكي وفي الخارج، وهو ما كان سببا في بروز حركة شعبية مناهضة للعنصرية تتكون من جميع الفئات الاجتماعية الأمريكية يطلق عليها حركة السود مهمة **Black Lives Matter**،وقد كانت هذه الحادثة أهمية بالغة في الانتخابات الرئاسية الأمريكية الأخيرة أين دفعت بالكثير من المصوتين الأمريكيين بإعطاء اصواتهم للمرشح الديمقراطي جو بايدن عقابا للرئيس السابق دونالد ترامب بسبب موقفه الذي لم يكن صارما تجاه هذه الحادثة.

أما في جنوب إفريقيا فقد كرست سياسة الأبارتايد التي كانت تنتهجها حكومة بريتوريا إلى إفراز شعبين مختلفين ،الأول خاص بالبيض يتمتع بكل الحقوق ويستفيد من مقدرات البلد من رعاية صحية وتعليم والسكن في الأحياء الراقية ،وشعب أخر خاص بالسود يقطن في غيتوهات تنعدم فيها أدنى شروط الحياة ولم تتخلص جنوب افريقيا من هذا التمييز إلا بحلول سنة 1991.وحينها قال الزعيم الجنوب افريقي كلمته الشهيرة (إنني لا أصدق بأننا انتصرنا على الأبارتيد قبل الفلسطينيين)

تعني كلمة أبارتايد في لغة الأفريكانو (وَضَعه جانبا، أو نبذهُ) مع ما يحمله ذلك من معاني النبذ والتهميش والإلغاء وحتى الاحتقار. وساد هذا المفهوم أدبيات الحياة السياسية في جنوب أفريقيا في أواسط عقد أربعينيات القرن العشرين.وتصدر الحزب الوطني المتطرف التبشير والدعاية لأنموذج الحكم هذا، تدفعه إلى ذلك مرجعيته الأيديولوجية القائمة على الدفاع عن الوجود الأبيض في جنوب أفريقيا، وحماية مصالح البيض ومكاسبهم الاقتصادية الكبيرة التي بنوها على مدى ثلاثة قرون من الاستعمار، وعلى حساب الأغلبية السوداء. أُقر نظام التمييز العنصري في جنوب أفريقيا منذ 1948 ولم ينته إلا عام 1991، وحكمت من خلاله الأقلية البيضاء -المنحدرة من أصول أوروبية والتي تمثل ما بين 15 و20% فقط من السكان- الأغلبية السوداء ذات الأصول الأفريقية والهندية.مهد لظهور نظام الفصل العنصري فوز الحزب الوطني المتطرف في تشريعيات 1948، حيث بدأ هذا الحزب تنفيذ مشروعه السياسي بقانون سُمي "سجل السكان" أُقر في 1950، وقسّم سكان البلاد رسميا إلى مجموعات عرقية حدد أماكن وجودها في أماكن معينة من البلاد، ومهد هذا القانون لتفرقة شاملة أنتجت مجتمعين يتباينان في كل شيء ويسلكان مساريْ تنمية مختلفين تماما(الجزيرة نت،2021)

4.الدين:

هناك أمثلة عديدة في تاريخ الشعوب أين لجأت مجموعات ذات توجهات عنصرية إلى استعمال الدين كذريعة من أجل إبادة الأخر الذي يختلف معهم من حيث الديانة والمعتقد ،وهذا ما سجله التاريخ في أماكن عديدة من المعمورة سنذكر البعض منها على سبيل المثال لا الحصر ما تعرض له مسلمو البوسنة والهرسك من إبادة خلال الفترة ما بين (1992-1995) أي قبل سنوات قليلة من حلول القرن الحادي والعشرين بالرغم من أن الجغرافيا جعلتها تتواجد في قلب القارة الأوروبية التي تتغنى بالديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان والحضارة.

إن التمييز العنصري بل والتطهير العرقي في جمهورية البوسنة والهرسك قصة قديمة حديثة ،فقد صرح وزير الإعلام الصربي في أحد تصريحاته عن الحرب الدائرة في البوسنة والهرسك قائلا:((نحن الصليبيون الجدد نحمي أوروبا من الإسلام)) ويضيف قائلا: «**إن أمام بلادنا مهمة تاريخية هي حماية أوروبا من الإسلام**» (الباس حسن، ص121)

وقد روى أحد الجنود الذين تتم محاكمتهم بتهمة ارتكاب جرائم حرب قصصا مروعة في حق مسلمي البوسنة والهرسك ،حيث قال: «أبلغنا بوجوب أن تصبح المنطقة صربية نظيفة وأن يقتل جميع المسلمين

فيها ،أمرنا أن لا نسمح لأي أحد بالفرار وأن نحرق جميع المنازل حتى إذا نجى أصحابها فلا يكون له مكان للعودة إليه»

هناك فضائع لا تعد ولا تحصى ارتكبت في حق مسلمي البوسنة والهرسك تترجم الحقد العنصري المغلف بالدين ليس من جانب الصرب فحسب بل كانت هناك مباركة أوروبية التي ساندت تلك المجازر سواء كانت من جانب روسيا التي دعمت صربيا بالأسلحة ،أما الدول الأوروبية الأخرى فقد تواطأت بصمتها مكتفية بنقل الصور عن القتلى والجرحى والمهجرين على شاشات التلفزيون. وهناك مثال أخر هو ما يتعرض له مسلمو الروهينجيا بإقليم أركان (ميانمار) حيث حرم سكان الإقليم من الجنسية ثم تعرضوا إلى عمليات قتل جماعية وحرق للمنازل واغتصاب للنساء وكل هذا يحدث في العشرية الثانية من القرن الحادي والعشرين.

وفي فلسطين المحتلة لجأ الحاخامات(وهم رجال دين متطرفون ومتعصبون) إلى إصدار فتاوى مليئة بالعنصرية تجاه العرب وأشهرها تلك الي صدرت في خضم اتفاق أوسلو سميت هذه الفتوى(الدين روديف) أي الموت لكل اسرائيلي يسلم شبرا من أرض اسرائيل التاريخية للعرب ،وهذه الفتوى كانت سببا في اغتيال اسحاق رابين ،وكذلك الفتوى التي أصدرها الحاخامات في حرب غزة سنة 2008 والتي سميت (الغوييم) أي الأغيار أو غير اليهود وهي تحث الجيش الاسرائيلي على قتل الفلسطينيين حتى ولو كانوا رضعا.

5.صراع الثقافات:

عندما يحل الصراع محل الحوار بين الثقافات يصبح الباب مشرعا على مصراعيه لكل الأقلام المسمومة والمأجورة لكي تدلي بدلوها مطلقة العنان لأحقادها الدفينة دون مراعاة العواقب الناجمة عن ذلك، إن ما ورد في كتاب صامويل هنتنغتون "الموسوم بصدام الحضارات " من أفكار لخير دليل على ذلك، حيث وردت احدى فقرات هذا الكتاب كما يلي: «يقول بعض الغربيون بما فيهم الرئيس كلنتون إن الغرب ليس بينه وبين الإسلام أي مشكلة ،وإنما المشكلات موجودة مع بعض المتطرفين الإسلاميين .أربعة عشر قرنا من التاريخ تقول عكس ذلك العلاقات بين الإسلام والمسيحية سواء الأرثوذكسية أو الغربية كانت عاصفة غالبا كلاهما كان الأخر بالنسبة للأخر» (هنتننجتن،1999، ص338)

لاحظ كيف تصرف الكاتب وهو مفكر مرموق يلقى قبولا واسعا في الأوساط الغربية لإجهاض أي صوت يدعوا إلى الحكمة والتعقل حتى ولو بدر ذلك من صناع القرار من خلال استدعاء التاريخ،

هناك أمثلة عديدة من الكتابات التي تساهم في نشر الكراهية بين الشعوب مثل القول الذي صدر من المستشرق وليام موير « إن سيف محمد والقران هما أكبر عدو للحضارة والحرية والحقيقة ،لم يسبق أن شهد لهما العالم مثيلا» (فايدز ،2016 ،ص 53) إن الغرض الذي يتوخاه صاحب هذا القول هو تحقيق هدفين رئيسيين الأول يتمثل في ترويج صورة مشوهة عن الإسلام في مجتمعه والهدف الثاني زرع الشك في النفوس وتشجيع الجرأة للخوض في مسائل مشابهة،

وقد سلك الفيلسوف الفرنسي ارنست رينان (**Ernest Renan**) نفس الاتجاه حيث كان يؤمن بما يسمى بتمرتب الأعراق حيث اعتبر بأن الجنس السامي دون الجنس الأوربي رتبة من ناحية العاطفة والمشاعر والروح العقلية والتفكير(الفيومي ،1993 ،ص235) فقد وجدت هذه النظريات قبولا واسعا لدى الأوروبيين ،وهذا ما يفسر تنامي النزعة الاستعمارية والتوسع على حساب الدول الأخرى تحت مبرر بأن الشعوب الأخرى غير قابلة للتمدن، كما لا ننسى أيضا دور الرسومات الكاريكاتورية في تعميق الهوة بين الثقافات وأخطرها تلك التي تنشرها بعض الصحف الأوروبية التي تتعمد السخرية من الديانات الأخرى ورموزها باعتبار أن تلك الأقلام لها مظلة تحميها وتختبئ وراءها تسمى حرية التعبير ما يتسبب في خلق أجواء مشحونة بالكراهية.

6.الأحزاب اليمينية المتطرفة وخطاب الكراهية:

لوحظ خلال السنوات الأخيرة تزايد غير مسبوق لنفوذ الأحزاب اليمينية القومية المتطرفة في الدول الغربية نذكر منها حزب الجبهة الوطنية اليمينية في فرنسا ،وحزب الحرية اليميني في هولندا، وحزب (جوبيك) في المجر -الذي لاحظنا أن أنصاره يحملون أعلاما بالأحمر والأبيض التي ترمز للفترة النازية-وحزب البديل الألماني، والحزب اليميني القومي في بريطانيا ،حيث صارت أعداد المنتسبين إليها تزداد يوما بعد يوم، ومن أهم العوامل التي ساهمت في استقطاب تلك الجماهير هو خطاب الكراهية الذي يتبناه "زعماؤها " المبني على (رهاب الإسلام) أو الإسلاموفوبيا، ومن أهم الأفكار التي يتم ترويجها عن المسلمين بأنهم معادون للحضارة الغربية وغير مهيئين للاندماج في المجتمعات الأوروبية وبالتالي فهم يشكلون خطرا على الحريات في تلك الدول وما يساعد في تغذية ذلك الرهاب من الإسلام والريبة والشك تجاه الجاليات الإسلامية هي تلك الفرص التي يعطيها بعض المتطرفين الإسلامويين الذي يرتكبون أعمالا إجرامية باسم الدين وهو براء منهم، مما يزيد في تكريس الكراهية تجاه معتنقيه،

من العوامل المشتركة أيضا التي تجمع بين هذه الأحزاب هو رفعها لشعار البلاد لأهلها أي فرنسا للفرنسيين وبريطانيا للبريطانيين...في دعوى صريحة إلى معاداة الأجانب حيث يعتبرونهم بأنهم يستحوذون على مقدرات بلدانهم، كما يعادون السياسة الأوروبية وخاصة اتفاقية " شنغن " التي تعتمد على سياسة الحدود المفتوحة ،ولعل أن من أهم الأسباب التي دفعت بالحكومة البريطانية إلى تنظيم استفتاء من أجل خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي (**Brixit**) هو تخوف البريطانيين من انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي ذات 78 مليون نسمة سنة 2016 -حسب الإحصاءات التركية-مما يجعل إمكانية استقبال بريطانيا للملايين من الوافدين واللاجئين.

7. وسائل الإعلام:

يقول (جوزيف جوبلز) وزير الدعاية النازي في عهد هتلر "إنّ أفضل تقنيات حرب الدعاية هو الاقتصار على نقاطٍ محددةٍ بعينها وتكريرها مراراً وتكراراً على مسامع الناس" ،كما ورد أيضا في مجموعة قصائد سام كين وجوه العدو:" في البداية نصنع العدوّ تأتي الصورة قبل السلاح نقتل الآخر بفكرنا قبل أن نتّخذ الساطور أو الصاروخ لإتمام القتل. تسبق الحرب الدعائية، التقنية العسكرية"

يعتمد الكثير من عوام الناس في تشكيلهم لفهمهم للعالم على ما يصلهم من المحتوى الإعلامي، وبذلك يكون لمحترفي الإعلام دورٌ مباشرٌ في تشكيل معرفة المتلقي.. ولأنّ الأفكار والمعارف التي يبثّها الإعلامي كفيلةٌ بالتأثير البعيد المدى على المتلقّي، وجب عليه أخذ الحيطة والرجوع لأخلاقيات مهنته في تشكيلهِ للوعي العام(مطاوع، 2017)

يرى صحفيون وسياسيون ونشطاء مجتمع مدني، أن الإعلام لعب دورا كبيرا في اشعال الانقسامات والصراعات والحروب في دول يوغسلافيا السابقة، فحين ضعفت الحكومة المركزية حيث كان الصحفيون والكتاب مضطرين للالتزام بتعليمات الحكومة وقوانينها ورقابتها الصارمة في البث والنشر، وكان جلهم بمثابة موظفين يدافعون عن سياسات الحكومة، بدأ الكثير من الصحفيين يكتبون وينشرون دون أية قيود مهنية او اخلاقية وتم استغلال المئات منهم من قبل الاحزاب للترويج والدعاية ونشر افكارها التي كان الكثير منها معادية للآخر بدوافع قومية او دينية او مذهبية. ويقول كاتب بوسني: قوة تأثير وسائل الاعلام تشبه قوة مفاعل نووي، هي تملك قوة هائلة في خلق النزاعات واشعال الحروب(وكالة الأنباء العراقية،2018)

يمكن لوسائل الإعلام ، بترويجها صورا كاذبة وأنماطا سلبية عن أفراد وجماعات تواجه التمييز ،أن تساهم في نشر مشاعر تنم عن العنصرية وكره الأجانب بين أوساط عامة الجمهور ،وقد شجع ذلك في بعض الحالات أفرادا عنصريين وجماعات عنصرية على العنف ،وبالمثل تستخدم تكنولوجيا المعلومات الحديثة مثل شبكة الانترنت لترويج العنصرية والكراهية العنصرية وكره الأجانب والتمييز العنصري وما يتصل بذلك من تعصب ،وفي ألمانيا تقر الخطة الوطنية لمحاربة العنصرية وكره الأجانب ومعاداة السامية وما يتصل بذلك من تعصب بأن" الأنترنت غدا واحدا من أهم وسائط الإعلام ومن أدوات الترويج لدعاية اليمين المتطرف فهو سريع وغير مكلف ويبدوا مجهول المصدر.ولا يمكن ترك مهمة مكافحة التمييز وكره الأجانب ومعاداة السامية في الانترنت لفرادى الدول لوحدها ،لأن الطبيعة العالمية للأنترنت تتطلب بشكل عاجل تعاونا دوليا(الأمم المتحدة،2014،ص 61)

الخاتمة:

في ختام هذا المقال نشير إلى أن أي مجتمع إذا أراد أن يحصن نفسه من فيروس العنصرية والكراهية الذين يتسببان في تفشي حالة من الأنوميا أو اللامعيارية التي تصيب البناء الاجتماعي ،هو ضرورة إرساء قواعد المواطنة الذي يجعل كافة أفراد المجتمع سواسية في الحقوق والواجبات ،كما يتوجب إرساء العدالة الاجتماعية التي تكفل المساواة في التنمية ،والشغل وكل ما له علاقة بجودة الحياة الاجتماعية.

إن التفاهم والانسجام والاندماج كلها عوامل من شأنها أن تنتج تفاعلا يفضي إلى علاقات اجتماعية تتسم بالتفاهم والتعاون. أما سياسة الإقصاء والتهميش والتمييز فمن شأنها أن تنتج علاقات اجتماعية مبنية على الصراع ،وهذا الصراع يؤدي بالأطراف المتصارعة إلى فقدان السيطرة على الوضع فكل طرف يسعى إلى إلغاء الأخر بكل الوسائل.

إن تعدد الثقافات في المجتمع الواحد هو مصدر قوة ذلك المجتمع وخاصة عندما يكون هناك احترام وتضامن متبادلين بين تلك الثقافات، فاللوحة الفنية تستمد رونقها ونظرتها الجمالية من تعدد ألوانها.

التوصيات:

في ختام هذا لمقال نقترح التوصيات الأتية:

1-التجنيد الدائم لجميع مؤسسات التنشئة الاجتماعية بدءا بالأسرة والمدرسة والمسجد ووسائل الإعلام لمحاربة ظاهرة العنصرية.

2-إثراء المناهج التربوية بقيم التسامح.

3-تطبيق القانون بصرامة على الأشخاص الذين ينشرون الكراهية وخاصة على مواقع التواصل الاجتماعي.

4-عدم السماح باستخدام ذريعة حرية التعبير من أجل نشر الكراهية بين أفراد المجتمع الواحد.

المراجع:

- زايد، أحمد، (2006)، سيكولوجية العلاقات بين الجماعات، الكويت، مطابع المجموعة الدولية.

- السيد ،محمد عاشور ،(1986)،التفرقة العنصرية ،القاهرة.

- الجزار ،هاني،(2010)، أزمة الهوية والتعصب ،مصر، هلا للنشر والتوزيع.

-النملة، علي إبراهيم ،(2015)،الاستشراق السياسي وصناعة الكراهية بين الشرق والغرب، الرياض، بيسان للنشر والتوزيع.

-همشري، عمر أحمد ،(2013)التنشئة الاجتماعية للطفل ،عمان ،دار صفا للنشر.

-الأمم المتحدة، المؤتمر العالمي لمكافحة العنصرية والتمييز العنصري وكره الأجانب وما يتصل بذلك من تعصب، ديربان، 2001،تم الاطلاع عليه يوم :2021/07/25 على الساعة العاشرة صباحا على الرابط:

https://undocs.org/pdf?symbol=ar/A/CONF.189/12

- مؤتمر العمل الدولي ،الاتفاقية رقم 111 تم الاطلاع عليها على الرابط:

http://hrlibrary.umn.edu/arabic/ilo-c111.pdf

--.منظمة اليونيسكو تم الاطلاع عليه يوم :02-08-2021 على الرابط:

https://ar.unesco.org/themes/right-to-education/convention-against-discrimination

-الزغبي، أحمد ،(1998)العنصرية اليهودية وأثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، الرياض ،مطبعة العبيكان.

- فهمي، عبد العزيز،(2005)مدونة جوستينيان في الفقه الروماني ، القاهرة ،المجلس الأعلى للثقافة.

- روكز ،يوسف ،(1986)،إفريقيا السوداء سياسة وحضارة ،بيروت ، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع.

-الجزار، هاني، مرجع سبق ذكره، ص 148.

-البرقاوي، أحمد، (2020)، حصة كلام جديد، قناة أورينت الإخبارية على اليوتيوب تم الاطلاع على الحصة يوم :15 جوان 2021.على الرابط:

-هالي ،ألكس،(1996) ترجمة ليلى أبو زيد، مالكوم إكس سريرة ذاتية ،بيروت ،بيسان للنشر والتوزيع.

21.الجزيرة نت ،الأبارتايد ،نشر بتاريخ 30-11-2015،تم الاطلاع عليه يوم 20-07-2021،على الرابط :https://bit.ly/3lkxri8

- الباس، جسن ،(1994)، زحف العنصرية ومواجهة الإسلام ، دمشق ،دار قتيبة للنشر والتوزيع.

-.نفس المرجع السابق، ص 128.

-هنتنجتن، صامويل ترجمة الشايب طلعت، صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، الطبعة الثانية، عن مركز روكفيل، نيويورك، 1999،ص338.

- فايدز ،ستيفان ترجمة بوطيب رشيد ،(2016)، خطاب ضد الإسلاموفوبيا في ألمانيا والغرب مناهضة بيغيدا، قطر، دار منتدى العلاقات العربية والدولية.

-الفيومي، محمد إبراهيم ،(1993)،الاستشراق رسالة استعمار ،القاهرة ،دار الفكر العربي للنشر والتوزيع.

-.مطاوع عمار،(2017)، دور الإعلام في صناعة العنصرية العالمية، تم الاطلاع عليه من خلال موقع الجزيرة نت على الرابط: https://bit.ly/3leRhv8

-.وكالة الأنباء العراقية،(2018)،دور الإعلام في فترة الحرب وإعادة بناء السلام في البوسنة والهرسك ،تم الاطلاع عليه يوم 30-07-2021 على الرابط:https://www.ina.iq/58741--.html

--الأمم المتحدة، المفوضية السامية لحقوق الإنسان،، اعداد خطط عمل وطنية لمكافحة التمييز العنصري، جنيف.2014.